

الأداء البلاغيّ  
في كتاب الهوف في قتلى الطفوف  
لسيّد ابن طاووس (ت ٦٦٤هـ)

*The Rhetorical Performance in Book  
Al-Lahouf fi Katla-al-Tofoof of Sayyid  
Ibn Tarwoos (D. 664 AH.)*

أ.م.د. عليّ عبد الحسين جبير  
جامعة القادسية/كلية التربية

*Asst. Prof. Dr. Ali Abdul-Hussein Jubair  
University of Qadisiyah/College of Education*



## ملخص البحث

إنَّ كتاب اللُّهوف في قتلِ الطفوف هو من الكتب المهمَّة التي تميَّزت بحُسن النسيج وحرصانة الديباجة، وقد عمدتُ لهذا الكتاب؛ لأنَّه يكشف لنا بشكلٍ جليٍّ الأداء البلاغيَّ عند ابن طاووس، وقد تناولت في هذا المتن قضيَّة البنية الإيقاعيَّة والصوتيَّة والصورة الفنيَّة سبيلًا للبحث والدراسة، إذ وقفتُ على مجمل الإيقاعات الصوتيَّة المنتشرة في بنية النصوص الأدبيَّة في هذا الكتاب من إيقاع المقاطع الكلاميَّة، وقد شمل بنية التوازي بأنواعه الواردة، ثمَّ عرَّجتُ على تقنيَّة التجميع، ثمَّ تناولت الاقتباس، ثمَّ عرَّجتُ على الصورة الفنيَّة في هذا الكتاب من صور تشبيهيَّة وصور استعاريَّة في نسيجه الإبداعيِّ، وقد وجدتُ أنَّ المبدع كان دقيقًا في بنيتِه الفنيَّة التي أراد من خلالها التعبير عن خلجاته الداخليَّة، ومشاعره من جهةٍ، وجذب جمهور القراء من جهةٍ ثانية، ونقل الأحداث التي مرَّ بها الإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام في واقعة الطفِّ الأليمة.

## Abstract

The book "Al-luhoof fi Katla Al Tofoof" is one of the important books which was characterized by the good weaving and preaching of the preamble. I have written about this book because it clearly reveals to us the rhetorical performance of Ibn Tawoos. In this context, I dealt with the issue of rhythmic and vocal structure as well as artistic image as a means of research and study. As it stood on the whole vocal rhythms scattered in the structure of literary texts in this book of the rhythm of syllables, it included the structure of parallelism of the types received, then I covered the technique of rewinding, so I dealt with the quotation and then I came to the artistic picture in this book like metaphors and metaphorical images in the fabric of creative work, however, I found that the creator was accurate in his artistic structure, through which he wanted to express his inner desires and feelings on the one hand, and to attract the readers on second hand , also to convey the events that Imam Hussein and his family (PBUT) experienced in the painful incident "Al-Taff".

## مقدمة البحث

يعدُّ كتاب (اللهوف في قتلى الطفوف) لمؤلفه السيّد عليّ ابن طاووس من الكتب المهمّة التي تصوّر وتنقل وتؤرّخ لقضية مقتل الإمام الحسين عليه السلام، وهذا ما حدا بي إلى دراسة هذا الكتاب، وما ورد فيه من حُطَبٍ ورواياتٍ وأبياتٍ من الشعر، وقد عمدتُ في ذلك إلى الدراسة الأدبيّة، معتمداً على الأداء البلاغيّ طريقاً للكشف عن النصوص، وإبراز البنى الإبداعية التي انطوى عليها هذا الكتاب، ومعرفة القيمة الفنيّة والجماليّة التي تستتر وراء تلك البنى.

ومحاور هذه الدراسة قائمةٌ على ما يأتي:

أولاً: البنية الإيقاعيّة والصوتيّة.

ثانياً: الصورة الفنيّة.

## أولاً: البنية الإيقاعية والصوتية

الأصوات هي: «أصغر وحدات في النظام اللغوي»<sup>(١)</sup>، ولكن هذه الأصوات تترابط منسجمة في تكامل؛ لتكوّن البنية الصوتية، وهذه البنية ناتجة عن تفاعل الألفاظ جرساً ودلالةً وانسجاماً، وهذا التفاعل لا يمكن أن يحصل إلا إذا انتظم في نظام هو الإيقاع، إذ إنّ إبداعية النصّ الأدبي تكمن في البنية الإيقاعية، وإنّ جمالية الإيقاع لها أثرٌ كبيرٌ في جمالية بنى النصّ الإبداعي، حتّى نظر إلى الإيقاع على أنّه من العناصر الأساسية في الأعمال الأدبية عامّة، والثريّة خاصّة، وقد عرّف الإيقاع بأنّه: «انتظامٌ في الصوت، وتناسبٌ في البعد»<sup>(٢)</sup>.

وقد استغلّ أغلب المبدعين الإيقاع قاصدين منه القيام ببناء مناطق الإبداع في النصّ، ومساقت تأثيرها في نفس المتلقّي.

وما يهّمنا هنا من جملة التأثيرات التي يوحى بها الإيقاع، التأثير في وحدات التواصل الاجتماعيّ:

### المؤلف ← النصّ ← القارئ

إذ إنّ البنية الإيقاعية تمارس تأثيراً خاصاً في البنى المشكّلة له من جهة، وتحفّز القارئ للتفاعل مع العمل الأدبيّ من جهة ثانية.

وبناءً على هذه المعطيات المقتضبة لأهمية الإيقاع والصوت، فإنّ إيقاع النثر في كتاب اللهوف في قتلى الطفوف وجدناه قائماً على ما يأتي:

## أ. إيقاع المقاطع الكلامية:

١. التوازي: وكان على نوعين، أحدهما: التوازي المتسلسل، والآخر: التوازي

المتقابل (الثنائي).

٢. الترجيع.

ب. الاقتباس.

## أ. إيقاع المقاطع الكلامية:

وكان على المحاور الآتية:

١. التوازي: هو تشابه التراكيب في أجزاء من الجملة أو الفقرة، إذ تتساوى كلُّ الأجزاء في الطول وعدد المقاطع والكلمات، فتتأثر المباني في السطور المتقابلة وتتعدل<sup>(٣)</sup>؛ لذا عدَّ التوازي من العناصر الأساسية المكوّنة للإيقاع في النثر العربيّ عامّةً.

وقد عبّر عنه جاكوبسون بقوله: «العديد من أنماط النثر الفنيّ ينبنى بمبدأ الموازنة»<sup>(٤)</sup>، بل هو شرطٌ عند بعض النقاد بقولهم: إنَّ «العناصر المكوّنة للإيقاع في النثر العربيّ تخضع لقوانين الانتظام والتوازي والتناسب، وكلُّها عناصر جماليّة»<sup>(٥)</sup>.

بيد أنَّ التوازي في كتاب اللهوف هو التوازي ذو الجمل القصيرة؛ لأنَّه يكون أكثر تأثيراً من جهة الدلالة؛ وقد ساعد هذا النوع من التوازي على خلق الانسجام الصوتيّ والإيقاعيّ بين الكلمات والمقاطع الصوتيّة من جانب، وبين الدلالة والمضمون من جانبٍ آخر.

أمّا أنواع التوازي التي رُصدتْ في كتاب (اللهوف في قتل الطفوف)، فهي

ما يأتي:

أ. التوازي المتسلسل: إذ يقوم هذا التوازي على سرد مجموعة من الصفات قصد الاستقصاء والتفصيل لموصوفٍ واحدٍ، فيقول في وصف جماعة عبيد الله بن زياد<sup>(٦)</sup>:

يا ← عبيد الأئمة

← شدّاذ الأحزاب

← نبذة الكتاب

← محرّف الكليم

← عصابة الإئتم

← نفثة الشيطان

← مطفئي السنن

نلاحظ أنّ النصّ اعتمد على التوازي المتسلسل في عرض الصفات، بوصفه بنيةً موسيقيةً قادرةً على تجسيد الاهتزازات العاطفية التي تتغنّى بالخصال السيئة التي حملها أعداء الامام الحسين عليه السلام، فهذه التشكيلة الصوتية جاءت مؤثّرةً، فلا يتسرّب إليها الملل من جرّاء التركيز على لونٍ واحدٍ، فالتوازي المتسلسل خلق بدوره إيقاعاً متواشجاً متفاعلاً مع القيم الفكرية والشعورية المعبر عنها.

فالإمام أبرز الصفات السيئة لهؤلاء القوم الذين يقفون إلى جانب يزيد بن معاوية، وأنهم لا يملكون حسباً شريفاً، ولا مذهباً في القول نقيّاً، وكانوا أخسّاء أخذهم إلى هذا الموقف الطمع، وأنهم في موقفٍ نذاليةٍ لا يُحسدون عليه، فهذه الصفات التي ذكرها الإمام عليه السلام، ونقلها ابن طاووس في كتابه ازدادت روعةً وجمالاً بالتوازي المتسلسل؛ إذ جاءت بتناسقٍ إيقاعيٍّ زاد الأسلوب سطوعاً ووضوحاً، وأظهرت اعتناء المبدع بنسيجه اللغوي، وانتقاله من فقرةٍ إلى فقرةٍ، ومن فكرةٍ إلى فكرةٍ، وقد أوجدت هذه الإيقاعية

تناسباً بين الألفاظ والمعاني يهز أوتار القلب في أثناء عملية الاستجابة والتلقي.

لذا نرى أن التوازي المتسلسل تحوّل عند الإمام عليه السلام إلى مناطق ومقاطع يندمج فيها الفكر بالصورة بالإحساس بالموسيقى.

ب. التوازي المتقابل (الثنائي): وهو التوازي الذي يقوم على تكرار قرائن ومتوازيات وجمل بين طرفين، أو موصوفين في النصّ، ومن ذلك قول الإمام الحسين عليه السلام يوم استشهاده هاجياً الدنيا وملذّاتها<sup>(٧)</sup>:

فجديدها	⇔	بال
ونعيمها	⇔	مضمحل
وسرورها	⇔	مكفهراً
منزل	⇔	تلعة
ودار	⇔	قلعة

فالنصّ قائم على التوازي المتقابل بين طرفين، وهو من التوازيات المؤثرة التي توخّاهَا الإمام عليه السلام؛ ليؤثّر في جمهور المخاطبين، زيادةً على أنّ الموازنة بين الصفات الجميلة والقبیحة، ظهر بشكلٍ مميّز، إذ خرجت تلك الصفات بطريقةٍ تُثير الدهشة، وتحوّل التوازي المتقابل إلى إيقاعٍ له تأثيرٌ كبيرٌ جعله المنشئ هذا الأسلوب يتعمّق في الوجدان، ويمتزج بالمشاعر والأحاسيس، حتّى أصبحت الدنيا لا قيمة تُرجى منها، ويقول الإمام الحسين عليه السلام أيضاً في توبيخ الأعداء يوم واقعة كربلاء<sup>(٨)</sup>:

فنعمَ الرَّبُّ ربُّنا	⇔	وبئسَ العبيد أنتم
أقررتُم بالطاعة	⇔	زحفتُم إلى ذريته وعترته
وأمتنم بالرسول	⇔	استحوذَ عليكم الشيطانُ

يحاول المبدع في هذا النسق الإيقاعي الذي يحدثه التوازي المتقابل أن يوجّه الفكر نحو الحدث؛ لرسم صورة تنسجم مع ما يحشده من ألفاظٍ مقارنةٍ تجاه المخاطب، وألفاظٍ هجائيةٍ يؤنّب بها المخاطب بأنه (بئس العبد)، ويقابلها في الجانب الآخر (نعم الرب)، وقد شكّلت هذه الألفاظ بانسيابيتها وإيقاعها المتوازي موسيقى منتظمة تدفقت كأنها زخات مطرٍ، ومن ثمّ فالتوازي المتقابل يعمل على خلق بنية إيقاعية تتناسب وطبيعة الخطاب الثريّ المراد منه تأنيب المخاطبين ممّن خرجوا عن طريق الشريعة والإسلام.

٢. الترجيع: هو إيقاعٌ صوتيٌّ بنيتُه التكرار، يحدث في أثناء الحوار، يعتمد المتكلّم به إلى إرجاع دوالٍ بعينها، شرطاً المقام والموقف المحدّد (الوسط الظرفي)<sup>(٩)</sup>، ويعدّ من التشكيلات الإيقاعية المهمة والمهيمنة على بنية النصّ في كتاب اللهوف في قتلى الطفوف، قاصداً منها خلق الجدّة والتأثير في الخطاب، ومنه حيث يقول: «قال الراوي: وجاء شيخٌ، ودنا من نساء الحسين عليه السلام وعياله، وهم في ذلك الموضع.

فقال: الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم وأراح البلاد من رجالكم، وأمكن أمير المؤمنين منكم.

فقال له عليّ بن الحسين عليه السلام: يا شيخ هل قرأت القرآن؟

قال: نعم.

قال: فهل عرفت هذه الآية ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾.

قال الشيخ: نعم قد قرأت ذلك.

فقال عليّ عليه السلام له: نحن القربى يا شيخ. فهل قرأت في بني إسرائيل ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَى﴾

حقّه.

فقال الشيخ: قد قرأت.

فقال علي بن الحسين عليه السلام: فنحن القربى يا شيخ. فهل قرأت هذه الآية ﴿وَأَعْلَمُوا  
أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾.

قال: نعم.

فقال له علي عليه السلام: فنحن القربى يا شيخ فهل قرأت هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ  
لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

قال الشيخ: قد قرأت ذلك.

فقال علي عليه السلام: فنحن أهل البيت الذي خصصنا الله بآية الطهارة يا شيخ.

قال الراوي: فبقي الشيخ نادماً على ما تكلم به.

وقال: بالله إنكم هم<sup>(١٠)</sup>.

إذ تتجلى العبقرية عند السيد ابن طاووس في إعادة تشكيل الأفكار والأغراض بقوالب وبنى قادرة على استيعاب الكم الهائل من المشاعر والأحاسيس التي يحتويها النص، زيادة على الدفق الحجاجي الذي ينطوي عليه هذا الخطاب المنسوب إلى الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله، فالنص قد هيمن عليه إيقاع الترجيع؛ لأنه الأجدى في جلب سمع القارئ، إذ يقوم بدفع السأم والملل عنه بهذه البنية الصوتية الجاذبة<sup>(١١)</sup>، ومن ثم فالأسلوبية الصوتية في كتاب اللهوف قائمة على نظام إيقاعي منسجم ومنضبط، كونه بدوره مظهرًا أسلوبياً مميزاً، وذلك بالاعتماد على بنى إبداعية، وهي: (بنية التوازي، بنية الترجيع)، وقد ساهمت هذه البنى بشكل فعال في عملية التكوين والصناعة الأدبية لدى الكاتب السيد ابن طاووس في عرض الأحداث والأقوال الماثورة لأهل البيت عليهم الصلاة والسلام.

## ب. الاقتباس :

تضمنين: «الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث ولا ينبئه عليه للعلم به»<sup>(١٢)</sup>، إذ أورد السيد ابن طاووس جملةً من الأحاديث، منها قول الرسول الكريم ﷺ: «أبها الناس إنني قد خلّفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وأرومتي ومزاج مائي وثمره فؤادي ومهجتي لن يفرقا حتى يردا عليّ الحوض، ألا وإنني انتظرهما وإنني لا أسألكم في ذلك إلا ما أمرني ربّي، أمرني ربّي أن أسألكم المودّة في القربى، فانظروا كيف تلقوني غدًا على الحوض وقد أبغضتم عترتي وظلمتموهم، ألا وإنه سترد عليّ يوم القيامة ثلاث رايات من هذه الأمة»<sup>(١٣)</sup>.

فقد عمد السيد ابن طاووس في كتابه اللهوف إلى الاستعانة بالحديث الشريف للنبي الأكرم محمد ﷺ، وقد انطوى هذا الحديث على تقنية الاقتباس من القرآن الكريم، إذ عزز هذا الاقتباس البنية الصوتية والدلالية في النصّ، من إبراز لسلطة أهل البيت ﷺ، ومكانتهم في الدنيا والآخرة عند الرسول الأكرم وعند الله سبحانه وتعالى، والتي لا يُدانيها شيء.

ومن الاقتباس أيضًا خطبة الحوراء زينب ؓ عندما رأت القوم يكون بعد أن قامت بتأنيبهم: «... أتبكون وتنتحبون، إي والله، فابكوا كثيرًا واضحكوا قليلًا، فلقد والله ذهبتم بعارها وشنارها..»<sup>(١٤)</sup>.

وهذا النصّ فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَلْيُضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(١٥)</sup>، إذ عمدت السيدة زينب ؓ إلى الاقتباس؛ لتظهر لمن تخلف عن نصره الإمام الحسين ﷺ أن مصيرهم العار في الدنيا، والعذاب في الآخرة، فضلًا عن الموسيقى المؤثرة التي أضفتها على النصّ من هذا الاقتباس.

## ثانياً: الصورة الفنية

وهي قائمة على ما يأتي:

### ١. التشبيه:

يعدُّ التشبيه من الأساليب البلاغية المهمة التي من شأنها أن ترفع من إبداعية النصوص، بالعلاقات التي يقيمها المبدع بين الألفاظ في النصّ الإبداعي، والتي يكون أساسها التشبيه الذي يزيد من عمق النصّ وتأثيره، ويبعده عن المباشرة وعن صفة الكلام المبني على وجه الحقيقة.

والتشبيه عملية مقارنة بين طرفين: (المشبه والمشبّه به)، لعلاقة تجمع بينهما<sup>(١٦)</sup>؛ ولأهميته وتأثيره في الخطاب اقترنت جودة المبدع بمقدار براعته وقدرته فيه؛ لأنّه يجعل القارئ يتعمق في النصّ، ويُنعِم النظر فيه، باحثاً عن العلاقة بين طرفيه، والصفات المتماثلة بينهما، فإذا ما وجدها، تحقّقت المتعة لديه، ونالت إعجابه؛ لأنّ النصوص أوحى إليه معنى جديداً لم يكن حاصلًا قبله.

وتتضح قيمة التشبيه من كشف المعاني وإيضاحها، فله «روعة وجمال، وموقع حسن في البلاغة؛ وذلك لإخراجه الخفيّ إلى الجليّ، وإدناؤه البعيد من القريب، ويزيد المعاني رفعةً ووضوحًا، ويكسبها جمالاً وفضلاً»<sup>(١٧)</sup>، وفي هذه الإبانة والإيضاح للمعاني إبعادٌ عن اللبس والغموض؛ لأنّ التشبيه يحافظ على الحدود المتميزة بين الأشياء<sup>(١٨)</sup>.

ومَّا جاء في كتاب اللهوف قوله عندما بدأت تفرع طبول الحرب: «أبا خالد نحن نبل كنانتك وفرسان عشيرتك، إن رميت بنا أصبت، وإن غزوت بنا فتحت»<sup>(١٩)</sup>.  
إذ يستعين المبدع بالبنية التشبيهية لإبراز مقاصد كلامه، فهو يصور نفسه وأقرانه بنبل الكنانة للدلالة على القوة والبأس في المعارك واشتداد الحرب.

ومنه: «يا بني تميم كيف ترون موضعي فيكم وحسبي منكم؟ فقالوا: بخ بخ أنت والله فقرة الظهر، ورأس الفخر، حللت في الشرف وسطاً، وتقدّمت فيه فرطاً»<sup>(٢٠)</sup>.

يرى القارئ هنا أنّ بني تميم استعانوا بالصورة التشبيهية بوصفها نسقاً فاعلاً مؤثراً؛ إذ شبّهوا المخاطب بفقرة الظهر، فهو مصدرٌ للقوة والعزيمة ورباطة الجأش.

ويقول - أيضاً -: «قال الراوي: فتقدّم عمر بن سعد فرمى نحو عسكر الحسين عليه السلام بسهم، وقال: اشهدوا لي عند الأمير أنّي أول من رمى. وأقبلت السهام من القوم كأنّها القطر، فقال عليه السلام لأصحابه: قوموا رحمكم الله إلى الموت»<sup>(٢١)</sup>.

هنا الراوي يعتمد على الخيال في تصوير الكمّ الهائل الذي سقط على معسكر الإمام الحسين عليه السلام، إذ صورّ تساقط النبل بزخات المطر؛ من شدّة كثافتها وكثرتها.

من هنا نلاحظ أنّ التشبيه كان عنصراً فاعلاً ومؤثراً في تصوير الأحداث التي مرّ بها الإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام في واقعة كربلاء الأليمة.

## ٢. الاستعارة:

تنماز اللغة الإبداعية بخصوصية معيّنة تجعلها تنحرف عن اللغة الوضعية، وترتبط فيها الألفاظ بعلاقات جديدة ومبتكرة، لا تخضع فيها إلى الحقيقة، بل إلى المجاز الذي تمثّل الاستعارة أعلى مراحلها، وهي طريقة من طرائق التعبير غير المباشر، التي تهدف

إلى التخيل والإيحاء، لا إلى التقرير الذي هو سمة التعبير المباشر؛ إذ يقرّر الباث شيئاً أو يثبتّه، وفي المجاز يكمن شيء من تفرّد لغة الأدب وخصوصيّتها التي تترك صداها وتأثيرها في المتلقّي، وهذه غاية المبدعين، لكنّها ليست في منال الجميع.

ينفرد المجاز، والاستعارة منه، بقدره خاصّة على الجمع بين الأضداد والأشياء البعيدة والعناصر المتنوّعة اللازمة للرؤية الإبداعية، من خلال خلق علاقات جديدة بينها، فهو «يختصر البعد بين المشرق والمغرب، ويرينا الأضداد ملتئمة، ويأتينا بالحياة والموت مجموعين، والماء والنار مجتمعين»<sup>(٢٣)</sup>، وهذا الجمع بين العناصر المتباعدة قد يُدخلنا في عالم من الغرابة، فهذه الصورة القائمة على الاستعارة لا يستطيع أن يناها الخاطر بسرعة، أو أن يدركها بمجرد النظر إليها، بل يحصل ذلك بعد تثبّت وكدّ النفس وتحريك الخيال واستحضار ما غاب عنه<sup>(٢٣)</sup>.

إنّ الاستعارة علاقة لغويّة تقوم على المقارنة كالتشبيه، ولذلك يعرفها بعض البلاغيين بأنّها: تشبيهٌ حُذِفَ منه أحدُ طرفيه<sup>(٢٤)</sup>، ولكن مع التشبيه تبدو في النصّ الأدبيّ درجة من المعقوليّة والاعتياديّة؛ لأنّ كلّ طرفٍ على حدة، في حين يتفاعل الطرفان في الاستعارة ويتحدان، ففيها تقوم عملية استبدال وانتقال بين الدلالات الثابتة للكلمات المختلفة على أساس التشابه<sup>(٢٥)</sup>.

وهذا التفاعل بين العناصر، ولاسيّما المتباعدة، يحقّق الجدّة والابتكار والغرابة التي تُدهش وتمتّع وتبعث على التأثير، فالاستعارة تُظهر العمل الإبداعيّ المشتمل عليها «في صورة مستجدّة تزيد قدره نبلاً، وتوجب له بعد الفضل فضلاً [...] ومن خصائصها التي تذكّر بها، وهي عنوان مناقبها: إنّها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ»<sup>(٢٦)</sup>.

يزاد على هذا أنّ الاستعارة تكون أبلغ في توكيد الصفات للمعنى من التشبيه

بفضل التفاعل والاتحاد بين المستعار والمستعار له، فتزوي جميع الفوارق بينهما، أما في التشبيه، فعلى الرغم من المبالغة فيه، فإن المتلقي يبقى يشعر بأن المشبه هو غير المشبه به، بفعل وجود أداة التشبيه<sup>(٢٧)</sup>.

إن أهل البيت عليهم السلام استعانوا بالاستعارة كثيراً، ومع أنها أقل من التشبيه في الكتاب، إلا أنها أشد تأثيراً، وأكثر قدرة على تحقيق المتعة والدهشة، إذ كانت وسيلة بارعة في نقل المعاني، وقد أبدع فيها أهل البيت، واستعان السيد ابن طاووس في مقالاتهم؛ لأنها تظهر ثقافتهم الواسعة وخيالهم الخلاق وبراعتهم اللغوية.

وهناك أسباب أخرى رفعت من قدرة الشاعر في صياغة استعارته، يأتي في مقدمتها أثر فعالية الإبداع المبكرة، ونبوغه في قول الشعر، وكذلك التأليف في مجازات القرآن والحديث، وهي كتبٌ كثر الحديث فيها عن المجاز والاستعارة<sup>(٢٨)</sup>، وبذلك اجتمع لديه الحديث عن الاستعارة وتطبيقاتها عملياً في شعره، وفي هذا المعنى يقول: «إن الكلام متى خلا من الاستعارة وجرى على الحقيقة، كان بعيداً عن الفصاحة، برياً من البلاغة»<sup>(٢٩)</sup>. ولا يعني اهتمامه بالاستعارة والمجاز هجران الحقيقة، بل أن يكون هناك توازن وتكافؤ بين الحقيقة والمجاز؛ لكي يكون الكلام أقدر على تجسيد الواقع.

ومن الاستعارة في كتاب اللهوف في قتلى الطفوف ما جاء من قولٍ بحق معاوية، إذ يقول: «فقال: إن معاوية مات فأهون به والله هالكاً ومفقوداً، ألا وإنه قد انكسر باب الجور والإثم، وتضعضت أركان الظلم، وقد كان أحدث بيعة عقد بها أمراً ظناً أنه قد أحكمه، وهيئات والذي أراد اجتهد والله ففشل وشاور فخذل»<sup>(٣٠)</sup>.

فصاحب الإمام الحسين عليه السلام يزيد بن مسعود النهشلي يصور معاوية وسقوطه وهلاكه بأنه كسر لباب الجور والإثم، وهما معنويان، إذ ليس للجور ولا للإثم باب،

وهذا من باب الاستعارة المكنية، ثم يسترسل في الصورة الاستعارية ويجعل للظلم أركاناً تتضعع، وهذا- أيضاً- من باب الاستعارة المكنية.

ومنه أيضاً: «قال الراوي: فقام الحسين عليه السلام خطيباً في أصحابه، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر جدّه فصلّى عليه، ثم قال: إنّه قد نزل بنا من الأمر ما قد ترون، وإنّ الدنيا قد تغيّرت وتنكّرت وأدبر معروفها، واستمرت حداءً، ولم تبقّ منه إلا صباية كصباية الإناء، وخسيس عيشٍ كالمرعى الوبيل، ألا ترون إلى الحقّ لا يُعمل به، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه؛ ليرغب المؤمن في لقاء ربّه محقّقاً، فإنّي لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً» (٣١).

فالبنية الاستعارية- كما يلاحظ- ساهمت بشكلٍ فعّالٍ في نقلِ حكمة الإمام الحسين عليه السلام، وقد تمّ تصوير مشاعره وذمّه للحياة، وقد حوّل الإمامُ الدُّنيا إلى كائنٍ حيٍّ يتغيّر ويتنكّر ويُدبر معروفه، وهنا من باب الاستعارة المكنية.

من هنا نلاحظ أنّ كتاب اللهوف في قتلى الطفوف، هو من الكتب التي فيها الأداء البلاغيّ الفاعل والمؤثّر، متمثلاً بمحوريّ الألفاظ والدلالات والمعاني، مُجسّداً ذلك في البنى الإيقاعية المؤثرة من توازٍ واقتباسٍ وصورٍ تشبيهيةٍ واستعاريةٍ، إذ تعاضدت كلّ هذه التقنيّات في تقديم بنية صوتية ودلالية مؤثرة، عمد إليها الكاتب قاصداً جلب أسماع جمهور القراء والتأثير فيهم، لكي يعيشوا لحظات التجربة المريرة التي مرّ بها الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه عليهم الصلاة والسلام في معركة الطّفّ الخالدة.

## خاتمة البحث

من النتائج التي توصلنا لها، الآتي:

١. برزت البنية الإيقاعية والصوتية في نصوص كتاب اللهوف، بوصفها بنى مؤثرة وفاعلة في تلك النصوص، لاسيما التوازي المتسلسل والتوازي المتقابل والترجيع، إذ جاءت تلك الأنواع من التوازي والترجيع لتخلق بدورها إيقاعاً متواشجاً متفاعلاً مع القيم الفكرية والشعورية المعبر عنها.
٢. اعتمدت أغلب النصوص على أسلوب الاقتباس، إذ كان فاعلاً بوصفه بنية إبداعية وبديعية مؤثرة من الناحية الصوتية والدلالية.
٣. جاءت الصور الفنية في كتاب اللهوف مليئة بالحوية والخيال والتأثير؛ لبيتعد الكاتب - عن طريق هذه الصور - عن المباشرة في الحديث، وقد هيمنت الصور التشبيهية والصور الاستعارية على مجمل النصوص الإبداعية.

## هوامش البحث

- (١) الأسلوبية وتحليل الخطاب: ١٢٤.
- (٢) الأسلوب والأسلوبية: ٨٣.
- (٣) مبادئ في اللسانيات: ٤٣، أفكار وآراء حول اللسانيات والأدب: ١٠٨.
- (٤) قانون البلاغة: ٢٨، هندسة المقاطع الصوتية وموسيقى الشعر العربي: ١٤١.
- (٥) ظ: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: ٩٥، ظ: البديع والتوازي: ٧.
- (٦) ظ: اللهوف في قتل الطفوف: ١٠٨.
- (٧) م.ن: ٥٧.
- (٨) م.ن: ١١٧.
- (٩) ظ: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: ١٢٨.
- (١٠) اللهوف في قتل الطفوف: ٤٢.
- (١١) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: ٤٦.
- (١٢) ظ: لسان العرب: ٣/١٦٩.
- (١٣) اللهوف في قتل الطفوف: ٦٤.
- (١٤) م.ن: ٧٨.
- (١٥) سورة التوبة: ٨٢.
- (١٦) ظ: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٢/١٢٩.
- (١٧) م.ن: ١/٣٣.
- (١٨) م.ن: ٤٣٦-٤٣٧.
- (١٩) اللهوف في قتل الطفوف: ٤٩٦-٤٣٧.
- (٢٠) م.ن: ٢٧.
- (٢١) م.ن: ٢٦.
- (٢٢) ظ: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٢/١٢٨.
- (٢٣) م.ن: ٤٨.

- (٢٤) قانون البلاغة: ٢٨.  
(٢٥) م. ن: ١٠١.  
(٢٦) م. ن: ٦٤.  
(٢٧) مبادئ في اللسانيّات: ٥٩.  
(٢٨) ظ: علم الأصوات العام: ١١٦.  
(٢٩) ظ: علم الأصوات: ٢٩٤.  
(٣٠) اللهوف في قتلى الطفوف: ٤٣.  
(٣١) م. ن: ٤٣.

## المصادر والمراجع

١. الأسلوب والأسلوبية، بيار جبرو، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، (د.ت).
٢. الأسلوبية وتحليل الخطاب، منذر عياشي، ط ١، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ٢٠٠٢م.
٣. أفكار وآراء حول اللسانيات والأدب، رومان جاكوبسون، ترجمة: فالح صدام الإمارة، ط ١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ١٩٩٢م.
٤. البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، د. جميل عبد المجيد، (د.ط)، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ١٩٩٨م.
٥. البديع والتوازي، د. عبد الواحد حسن الشيخ، ط ١، مطبعة ومكتبة الإشعاع الفنية، الإسكندرية، مصر، ١٩٩٩م.
٦. علم الأصوات، د. كمال بشر، دار غريب، القاهرة، مصر، ٢٠٠٠م.
٧. علم الأصوات العام، بسام بركة، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان.
٨. قانون البلاغة في نقد النثر والشعر، أبو طاهر البغدادي، تحقيق: د. محسن غياض عجيل، ط ٢، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٩م.
٩. لسان العرب، ابن منظور، (د.ط)، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ت).
١٠. اللهوف في قتل الطفوف، السيد علي بن موسى ابن طاووس الحسيني (ت ٦٦٤هـ)، ط ١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م.
١١. مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، ط ٢، دار القصة، الجزائر، ٢٠٠٦م.
١٢. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، العراق، ١٩٨٦م.
١٣. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، ط ٢، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ١٩٨٤.
١٤. هندسة المقاطع الصوتية وموسيقى الشعر العربي، عبد القادر عبد الجليل، ط ٢، دار الصفاء للنشر، عمان، الأردن، ١٩٩٨م.